كتاب في حلقات

في ذكرى رعد عبد القادر

سيرة متخيلة لشاعر مات

الحلقة الاولى

قاسم محمد عباس

الإصغاء لجمال الوحدة

-١-

بعد يوم من سفرها نظر في أزهار الحديقة ، ولم تكن نظراته سوى أسى منفلت ، و ما كان يراه يقول : " كانت ثم مضت " ، لا أدري إن كان قد تأمل ذلك الحجم الصغير المتمايل : الشجرة.
بملابسها الجميلة ، وأصابعها الخفيفة كانت تائهة في فضاء الحديقة . أهو الفضاء ذاته ؟ لكنها كانت هي ذاتها ، من وراء تأملاتها، وجلد وجهها الأبيض الرقيق، ومن وراء ملابسها كانت ترى نفسها مليئة بالكلام ، بلا أخطاء ، تشعر بمراقبة العالم لها ، تزيف جسدها بالقمصان والشرائط ، تقاوم بشدة أية كدورة تقترب من هذا اللامرئي الذي يتناثر خلف أجزاء الجسد ، قسوة آسرة، وتأمل آسر، وهي الأخرى آسرة ، في حديقة أخرى أكثر جمالاً من هذا المكان شعرت انها ستمنحه كل شيء ، تمنّت أن تمنحه وقتاً ملكوتياً ، بمعنى الأبد والأزل ، تمنّت أن تنظر ذلك الوقت ، تطفو فوق الريح ، والسماء تقترب بحباتها الخاطفة الشفافة، حبات حارقة ، المطر الذي ربما سيغطيها ، ويجعلها نقية أكثر ، ويغسل الأطراف من غبار الحديقة ، تتذكر الكتاب الذي تكتبه عن الأخطاء ، تلك الأخطاء التي ترى أنه احتفظ بها في داخله تشبه ذرات الغبار التي في الحديقة ، ربما كان فرحاً بمرحه وبأخطائه ، لكنه كان لها أيضاً أن تمرح قليلاً تحت المطر، يفكر كيف كان يضع اليد اليسرى فوق بطنها الناعم ، يفكر بالتلاشي في ليونة المساحة ، عندما تنظر إلى الكف وتصمت مثل محاربة رومانية، الكتفان العريضان يخففان من حدة أناقة جسدها، لكن الأنف الدقيق يتدخل بقوة في النظر إلى جمالها الكلي ، وجهها يعيد معنى النظر إليها ، أصابع جميلة ، وذراع جميلة ، ونظرة معادة لتصحيح الصورة ، أكتاف عريضة، ووجه مخضب بالبراءة ، قوة القبح النافرة من الكتف تتلاشى في طفولة الوجه ، فكر بالجمال الذي استمد سلطته من هذا التناغم المتطرف ، وموجات من السدف تطوف حول البؤبؤ ، مع حركة رشيقة للأهداب تذكر أبدا بتأمل بحيرة ساكنة في الظهيرة .
وقف ونظر الى الأزهار بفرح ، وبسبب الوحدة راح ينظر في الأزهار ويتساءل عن معنى ما يحدث ، سيواصل العيش ، أو سيبدأ من حيث اللحظة التي سافرت فيها ، ربما سيقتفي أثر أسفارها القلقة ، روحاً معذبة ، قدراً ومآباً ، من هدوء الصحراء الضالة (روح / عاصفة) دقة كافية لوصف ذاته في مواجهة رحيلها، هل من الممكن أن يتناثر هذا الاقتران بين الروح والعاصفة؟ ربما يمكن رؤية الروح في العاصفة أو العكس ، رؤية مضببة، رؤية متألمة تبدو له عندما يفكر في الروح العاصفة.
النور الغائب للكلمة الأولى ، وهياج الطبيعة في الكلمة الثانية، يوصل إلى نهمه ككائن يحتاج إلى الطبيعة ، ويكتشف عذاب الكائن الخائف من الغموض، لكنه يقول : سواء كانت الروح أم العاصفة ، فقد كنت بالنسبة لها شكلاً ينسجم باستمرار مع قوة أنوثتها، ومعنى يشبع ذلك الفراغ الذي فينا .
نظر الى الزهرة التي أمامه ، وكانت المسافرة في مكان آخر تنظر من النافذة نحو الجليد وهو يغطي الزهور عند السفح .

ضحك وخداع

يجب أن أخدع الضحك
الضحك القوي الراسخ
يجب أن أخدعه ،
يجب أن أخدع الموت
الموت

رعد عبد القادر

تمثال الضحك المنطفئ .

-٢-

تنظر إليه ، لا تمتلك أية فرصة سوى أن تفعل ذلك ، بسبب توحدها ، وبصورته تلك بدا قريباً من الموت ، قد يكون مجهولاً بالنسبة لها، ربما لم يولد في لحظة ما ، تجد نفسها تحيطه بنظراتها التي لا تتوقف ، يتأمل أصابعها ، ويركز النظر في وجهها وهي تضحك، يتأمل أطرافها المهتزة ،تسأله فجأة :
. ما الذي حدث ؟
. لا شيء ، أرجو ألا تقلقي .
كان صوته يؤثر بها أيما تأثير ، بالتحديد نبرة صوته الهائمة، فتصمت مقتنعة .
تراوده رغبة في البكاء ، يشعر بالعجز عن مقاومة هذه الرغبة :
. كم أتمنى أن أمنعك من هذا .
تقول له ، وتتنفس بقوة ، لم يكن يسمع تلك الرقة في كلماتها، تحاول أن تصوغ سؤالها من جديد ، ولكن دون أن تجرحه فتقول :
. أشعر أنك تحتضر ، أو أنك ترغب في ذلك .
قد تساعد هذه الكلمات حالته ، وتتمنى أن يواصل الكلام من جديد، ولكنه يقول :
. أبداً ، ليس هنالك ما يدعو للقلق .
لم يكن بوسعها أن تقول شيئاً آخر ، تمنت لو قالت له : هل تشعر بأنك وحيد ؟ لكنها كانت متيقنة من أن شعوراً قوياً بالوحدة كان يسيطر عليه بعنف ،يبكي للحظات ويعود إلى الصمت .
بدت محرجة من هذا السكون الذي يلف الغرفة الكبيرة ، ومن النافذة كانت الحديقة تجاور الغرفة بزهورها ، وأشجارها الواطئة ، كان صامتاً ينظر من النافذة نحو الخضرة التي انعكست حزمها على زجاج النافذة الكبيرة ، أراد أن يتحدث عن الألم الذي يحاصره ، وكيف أن جسده وعقله قد تمرّن على هذا الألم الذي لا يتوقف ، ولكنه طلب منها بصوت هامس :
. أرجوك كوني بقربي الليلة .
نهضت نحو جهاز التسجيل وضغطت على الزر ، راحت الموسيقى تنساب ببطء في فضاء المكان ، من مكانها على الكرسي الكبير رأت الوجه الصغير يرتجف تحت الضوء الأبيض ، ربما عاد إلى البكاء، بمصاحبة الموسيقى ، اقترب منها وسألها :
. أين وصلت في الكتاب ؟
تذكرت جلستهما الأخيرة والكلام الذي دار حول الكتاب ، استعادت النقطة التي توقفا عندها ، حاولت أن تعتذر عن الكلام ، ولكنه سألها من جديد :
. أرجوك أين وصلت في الكتاب ؟
شعرت أنه لن يصدق ما ستتحدث به فقالت :
. أمر بظرف عصيب في الكتابة ، لم أعد مندفعة بسبب المحاضرات، لقد ازدادت ساعات التدريس ، ولا أستطيع السهر .
يهزّ رأسه ويقول كل مرة : نعم ... نعم .
فتقول له مباغتة :
. أما زالت الفكرة تسيطر عليك ؟
. أية فكرة ؟
يقول لها وينهض :
. ما زلت تبحث عنها ؟
سمع بوضوح ما قالته، شعر أن البحث عنها سيدفعه إلى الجنون ، اقترب من جهاز التسجيل ، ورفع صوت الجهاز،وترك تلك الأصوات الوترية تشوش بصره ، لم يكن بمقدوره أن يفهم ، يستدير نحوها يتأمل الوجه ، ويمرر أصابعه فوق الجلد الناعم :
. كم هي ناعمة وبيضاء هذه البشرة .
تبتسم وترغب في قول كلمات محددة ، ولكنها تحجم عن ذلك ، يواصل النظر في الوجه ، ويفكر في شيء آخر كان يدور في رأسها ، فيقول بلا تردد :
. ربما رأيتك وأنت طفلة .
. لقد التقينا قبل مدة قصيرة، ولا أظن أنك رأيتني وأنا صغيرة .
. لمَ تقولين ذلك ؟
. لأنه ما حدث فعلاً .
تتهيأ لأنه سيعاود الكلام عن الإحباط ، ليتطور الأمر بعد دقائق الى حديث عن زيارته المأساوية الى الحياة المأساوية ، ينظر في عينيها ويخمن أنها تفكر في حياته المأساوية ، ربما ستنهار يوماً ، كانت دموعها تنهمر ، عندما أحس بحرارتها وهي تبلل أصابعه ، يسأل عن هذه اللحظة التي تتكرر كل مرة ، فيقبلها ، ويشم رائحة الوجه ، كان الهواء البارد يضفي بعض الحزن على المساء الذي غمرها.

بمناسبة من يسعى اليها ، ومن يخشى الاقتراب منها:

(الكـــــــــراس)

كتابة : احمد السعداوي

بعد ان دشن مكتبه الجديد، كان رئيس تحرير احدى الصحف في العهد السابق يرفض القيام باي عمل يجبره على النهوض من كرسيه الوثير، خصوصاً وان الجرس المنبه في متناول يده، وبمجرد ضغطة بسيطة يدخل عليه عامل الخدمة ليلبي طلباته، او يستدعي من يريد.
الموظفون والعاملون في الصحيفة كانوا يعرفون ان رعدة تجتاح وجه رئيس التحرير هذا حين يرى يد احدهم وهي تمسد على جلد الكرسي الطري، او تؤرجحه ذات اليمين وذات الشمال بحركة عبثية. أما الجلوس عليه . هذا الكرسي . فكان من الموبقات التي لم يتجرأ على معرفة نتائجها احد.
هذا الكرسي الوثير، الناعم، الدافئ، لم يتآكل تحت عجيزة صاحبه، لم يتمزق او يتخدش، لم تنطبع عليه بالكاد آثار الجلوس المستمر، وظل جديداً بعد ان غادره صاحبه مضطراً (مع من غادروا). وربما هو يتآكل الان . هذا الكرسي . مع صاحب جديد، لا يرى الجلوس عليه نعمة ترتق فتوق الذات، او تضخم من شأن من يجلس عليه، انه كرسي للاستعمال فقط.. الان ربما.

إنقلاب الحال

الكثير من هذه الكراسي انقلب حالها، كراس لينة بظهر متحرك يندفع للامام او الخلف حسب وزن الجالس عليه، كراس تدور حول نفسها بنعومة ودون صرير، كراس تدرج على عجلات مطاطية في أي اتجاه يرغبه الجالس، كراس خفيفة وحية، وخالية من الاكسسوارا ت والبهرجة، تنتمي الى الجسد وتضمه اليها حال استعمالها، ولكنها حيادية تمنح نفسها للطغاة والعبيد على حد سواء.
إنقلب حال هذه الكراسي الان، ابتداءً بمشهد فنطازي، حين نهبت وزارة التعليم العالي . مثلاً عقب سقوط النظام، حيث استعملت هذه الكراسي ذوات العجلات المطاطية كعربات لنقل المنهوبات من بناية الوزارة الى الشارع، ثم استعملت بعد ذلك كعربات للعب الاطفال في بيوت الناهبين الفقيرة، وايضاً كمسند لأكياس الطحين والرز والسكر لحمايتها من رطوبة الارض والمياه الآسنة، ثم.. من يفكر بالجلوس على هذه الكراسي (في بيوت الناهبين الفقيرة) لأكل طعام الغداء أو العشاء إذا لم تكن هناك طاولات اصلاً !؟

إجازة

الكراسي كانت اولى قطع الاثاث في مكاتب الدولة الجديدة، وفي مكاتب الاحزاب التي افتتحت مقراتها في بغداد، ومكاتب الجمعيات الانسانية والخيرية عقب سقوط النظام، ويمكن الاكتفاء في البدء بكرسي وطاولة للأشارة الى ان المكان مشغول ويجري العمل فيه، ولم يعد مجرد غرفة فارغة نهبت (الدولة) منها.
هذا ما كنا نراه في الاشهر الاولى لعودة الدوائر الحكومية للعمل. كان الكرسي لوحده مجرداً من هيبة قطع الاثاث الاخرى، ومجرداً من هيبته السابقة ورعبه السابق وظلمه وجموده اللا إنسانيين، مستوحداً ومعزولاً داخل مهمة ثقيلة، هي انه يمثل الدولة الجديدة، وعليه وحده (بدءاً) ان يملأ برمزيته الغرف المدخنة ذات الكهربائيات المنزوعة والشبابيك والابواب المسروقة.
لكن هذه الميلودراما لم تستمر طويلاً مع الكرسي، ولربما لطفت بمنعطف فكاهي، فهناك من باع الكراسي . في الاسواق الارتجالية الكثيرة التي اعقبت سقوط النظام. الى أصحاب الدوائر الحكومية نفسها، ليعود الكرسي من جديد الى مكانه السابق، وكأنه عائد من اجازة استجمام قضاها في الهواء الطلق وعلى الارصفة.. ليس أكثر.

الوقوف.. والجلوس

الكراسي حين تتعدد تفقد صنميتها، تخرج من إشارتها الحادة الى السلطة والتحكم، وتغدو مجرد كراس لا اكثر، والعراق الان يمر بمرحلة استهلاك إستثنائية للكراسي، ولو رصدنا مثلاً عدد الشاحنات التي تدخل الى العراق محملة بانواع الكراسي، للمسنا، بوضوح اكبر، حقيقة ان اعداد من يرفضون الوقوف طويلاً هم في ازدياد، ورغم ان الجلوس على الارض قد يوفر راحة اكبر، لكنها راحة مغموسة بدلالة الاستكانة والعجز، وهذه اشياء يرفض الرضوخ لها مواطننا في هذه الايام.
المسؤولون في الدولة الجديدة يرفضون الادلاء بتصريحاتهم الصحفية وهم جلوس على الكراسي ويفضلون القيام بذلك وهم وقوف امام منصات تشبه منصات الشعراء والخطباء، وكأنهم يقولون بذلك اننا لا نملك كراسي حتى، انها ملك الجميع الان.
الكراسي الرئاسية و(العروش)اختفت من شاشات التلفاز، او ان الاميركان يستعملونها الان في القصور الرئاسية العديدة المتناثرة على خارطة العراق، او انها غدت حطباً في تنانير الناهبين الفقراء.

ملك الجميع

الكراسي الحيادية والصامتة كانت مثلاً اولى ضحايا الثورة الايرانية عام ١٩٧٩، حيث اخرجت الجموع الثائرة كل كراسي ومناضد الوزارات والدوائر الحكومية واحرقت او تم التخلص منها جميعاً بطريقة او بأخرى، لأنها كانت تمثل . حسب رؤية الثائرين . التجسيد الرمزي لسلطة الدولة الشاهنشاهية. حتى ان كاتباً مثل فهمي هويدي يروي في كتابه (إيران من الداخل) كيف انه مر بحرج كبير حين اراد اللقاء ببعض المسؤولين في الدولة الجديدة، ففوجئ بأن مكاتب وغرف الدوائر الحكومية ومكاتب المسؤولين فيها قد فرشت بالسجاد وتحولت الى ما يشبه الجامع او غرف الضيافة العربية.
ولكن لحسن حظ الكراسي سرعان ما انتهت الفورة الانفعالية ، واستيقظ الثائرون من نشوة ازاحة الدولة السابقة ليروا سذاجة التفكير بالتخلي عن الكراسي (وملحقاتها) من الناحية العملية، رغم كل ما تشير اليه، في اعين الفقراء الجالسين على الارض من دلالات تسلطية واستكبارية.

في النهاية استقرت دلالة الكرسي في الدولة الايرانية الجديدة، ليغدو مجرد تابع للسجادة، ولا يمكن له أن يعلو عليها (اعتبارياً) رغم علوه مادياً.
الكرسي لدينا لم يمر بهذه الدراما العنيفة، لم يتحطم في الحقيقة أي كرسي، رغم الرجة الهائلة التي خلفها غياب الثقل الاستبدادي من عليه، لقد مر كرسينا بطور من الكوميديا السوداء، غير وظائفه ، ثم امم من قبل الفوضى، ليغدو ملكاً للجميع، وامم من قبل (النظام) الجديد، ليرجى له ان يكون ملكاً للجميع ايضاً.

تحريم

أما اطرف ما يمكن ان يصادفه المرء على الانترنت هذه الايام، وما يجعله (يجلس) ذاهلاً من المصائب التي تبكي وتضحك في الان نفسه، فهو فتاوى التحريم (المجاني) التي طالت كل شيء.. حتى وصلت الى الكراسي، ولا نقصد الكراسي المجازية، وانما هذه التي نجلس عليها التي هي مجرد كراس، وكمثال على هذه الفتاوى إليكم ما يقوله احد شيوخ التحريم:
(.. إن من اخطر المفاسد التي بليت بها امتنا العظيمة ما يسمى بالكرسي وما يشبهه من الكنبات وخلافها، مما هو شر عظيم يخرج من الملة كما يخرج السهم من الرمية، نسأل الله العافية) !!
ويعدد صاحب الفتوى امام (شباب الامة) مفاسد الكراسي، ويستفيض فيها بما لا مجال لذكره في هذا المقام، ويطالب بتركها لأنها شر مستطير، فهي (مصنوع غربي) واقتناؤه تشبه بالغرب والاعجاب به اعجاب بهم، والغرب (كما يقول) شر كله، ثم أنها . أي الكراسي . ترفع الانسان من الارض، وهو خلاف التواضع . كما يرى . والجلوس على الكرسي هيئة المتكبرين، وغيرها من السفسطات التي لا اعتقد انها تخامر عقل رجل دين حقيقي في مطلع الالفية الثالثة، بل اكاد اجزم انها لم ترد اصلاً في ذهن رجل دين من القرن الثامن عشر، حين واجه رفاعة الطهطاوي الحضارة الغربية، فرأى في الغرب الاسلام كله، ولكن دون مسلمين!
وهنا يودي ان اتساءل هل انتهت المشاكل جميعاً لنتفرغ للآثاث فنصنف قطعه الى محرمات ومحللات، ثم كيف طبع هذا (المفتي) رسالته التحريمية، وعلى أي كرسي جلس؟ وأولئك الذي يقرأون فتواه الانترنيتية هل قرأوها من وضع الانبطاح ام من وضع الاستلقاء؟ ولربما كانوا يتصفحون الانترنت وهم نيام، من يدري؟!
وكنموذج لهذه الفتاوى الفنطازية يمكن المطالعة في الموقع التالي:
http://ummanas.netfirms.com/chair.htm

نكتة رئاسية

حول كرسي الرئاسة شاعت نكتة في منتصف التسعينيات تقول ان صدام اراد الاختلاء والاعتكاف في العشر الاواخر من شهر رمضان للتعبد والتهجد، فلربما حدثت معجزة ونزل عليه (وحي) ما، وهنا استدعى نائبه عزت وقال له: انظر.. هذا هو كرسي الرئاسة، وانا اعرف انك تحلم به ليل نهار، وسأحقق رغبتك الدفينة بالجلوس عليه، ولكن انتبه، الجلوس عليه فقط، وليس شيئاً اكثر، لأنني سأتغيب لعشرة أيام للتعبد.
ولم يتمالك عزت نفسه وهو يعلن عن سعادته بتأدية هذه المهمة، وهي الجلوس (لااكثر) على كرسي الرئاسة قائلا: الله يكون في عوني على هذه المهمة الصعبة، والله يساعدك سيدي على حملك الثقيل كل هذه المدة.
وهنا يغادر صدام كرسي الرئاسة ليجلس عليه عزت مع تحذير شديد بأن لا يتخذ أي قرار مهما كان صغيراً ويؤجل كل مهمات الرئاسة لحين عودة (الرئيس الشرعي!) الى كرسيه الحبيب.
وبعد انقضاء العشرة ايام، يخرج صدام من اعتكافه مخذولاً، فلم يأته الوحي ولا خلافه، ويطلب من عزت الخروج معه في جولة رئاسية في شوارع بغداد للترويح عن النفس، وبعد ان تجوب السيارة بصدام وعزت في اغلب شوارع بغداد يلتفت الاول الى الثاني قائلاً: عزت.. أين المواطنون؟
فيجيب عزت بأنه شاهد قبل ساعة احد المواطنين وهو يعبر الشارع. فيجيبه صدام منفعلاً: ولك هذا مواطن واحد.. ولكن اين البقية؟
فيما بعد يكتشف صدام ان عزت لم يتحمل اغراء كرسي الرئاسة واضطر لأتخاذ قرار واحد للاحساس بأنه ملائم لهذا الكرسي، وهذا القرار اليتيم لم يكن سوى إلغاء ضريبة الـ (٤٠٠) ألف دينار الشهيرة على طالبي صرف جواز سفر!

الاغلى ثمناً

ليس كرسي الرئاسة هو الثمين فقط، وانما هناك كراس قد تكون في نظر البعض اغلى ثمناً، كرسي الفلسفة في جامعة بون، كان ثميناً جداً للفيلسوف الالماني هوسريل، لكنه لم يكن كذلك بالنسبة لتلميذه الفيلسوف الشهير مارتن هيدجر، وفضل الجلوس . في اواخر ايامه . على كرسي مصنوع من اخشاب لم تشذب جيداً في مقاطعة (الغابة السوداء) يجالس الفلاحين، ويستغرق في تأملاته حول الوجود.. موضوعته الاثيرة.
. أما زالت الفكرة تسيطر عليك ؟
. أية فكرة ؟
يقول لها وينهض :
. ما زلت تبحث عنها ؟
سمع بوضوح ما قالته، شعر أن البحث عنها سيدفعه إلى الجنون ، اقترب من جهاز التسجيل ، ورفع صوت الجهاز،وترك تلك الأصوات الوترية تشوش بصره ، لم يكن بمقدوره أن يفهم ، يستدير نحوها يتأمل الوجه ، ويمرر أصابعه فوق الجلد الناعم :
. كم هي ناعمة وبيضاء هذه البشرة .
تبتسم وترغب في قول كلمات محددة ، ولكنها تحجم عن ذلك ، يواصل النظر في الوجه ، ويفكر في شيء آخر كان يدور في رأسها ، فيقول بلا تردد :
. ربما رأيتك وأنت طفلة .
. لقد التقينا قبل مدة قصيرة، ولا أظن أنك رأيتني وأنا صغيرة .
. لمَ تقولين ذلك ؟
. لأنه ما حدث فعلاً .
تتهيأ لأنه سيعاود الكلام عن الإحباط ، ليتطور الأمر بعد دقائق الى حديث عن زيارته المأساوية الى الحياة المأساوية ، ينظر في عينيها ويخمن أنها تفكر في حياته المأساوية ، ربما ستنهار يوماً ، كانت دموعها تنهمر ، عندما أحس بحرارتها وهي تبلل أصابعه ، يسأل عن هذه اللحظة التي تتكرر كل مرة ، فيقبلها ، ويشم رائحة الوجه ، كان الهواء البارد يضفي بعض الحزن على المساء الذي غمرها.

بمناسبة من يسعى اليها ، ومن يخشى الاقتراب منها:

(الكـــــــــراس)

كتابة : احمد السعداوي

بعد ان دشن مكتبه الجديد، كان رئيس تحرير احدى الصحف في العهد السابق يرفض القيام باي عمل يجبره على النهوض من كرسيه الوثير، خصوصاً وان الجرس المنبه في متناول يده، وبمجرد ضغطة بسيطة يدخل عليه عامل الخدمة ليلبي طلباته، او يستدعي من يريد.
الموظفون والعاملون في الصحيفة كانوا يعرفون ان رعدة تجتاح وجه رئيس التحرير هذا حين يرى يد احدهم وهي تمسد على جلد الكرسي الطري، او تؤرجحه ذات اليمين وذات الشمال بحركة عبثية. أما الجلوس عليه . هذا الكرسي . فكان من الموبقات التي لم يتجرأ على معرفة نتائجها احد.
هذا الكرسي الوثير، الناعم، الدافئ، لم يتآكل تحت عجيزة صاحبه، لم يتمزق او يتخدش، لم تنطبع عليه بالكاد آثار الجلوس المستمر، وظل جديداً بعد ان غادره صاحبه مضطراً (مع من غادروا). وربما هو يتآكل الان . هذا الكرسي . مع صاحب جديد، لا يرى الجلوس عليه نعمة ترتق فتوق الذات، او تضخم من شأن من يجلس عليه، انه كرسي للاستعمال فقط.. الان ربما.

إنقلاب الحال

الكثير من هذه الكراسي انقلب حالها، كراس لينة بظهر متحرك يندفع للامام او الخلف حسب وزن الجالس عليه، كراس تدور حول نفسها بنعومة ودون صرير، كراس تدرج على عجلات مطاطية في أي اتجاه يرغبه الجالس، كراس خفيفة وحية، وخالية من الاكسسوارا ت والبهرجة، تنتمي الى الجسد وتضمه اليها حال استعمالها، ولكنها حيادية تمنح نفسها للطغاة والعبيد على حد سواء.
إنقلب حال هذه الكراسي الان، ابتداءً بمشهد فنطازي، حين نهبت وزارة التعليم العالي . مثلاً عقب سقوط النظام، حيث استعملت هذه الكراسي ذوات العجلات المطاطية كعربات لنقل المنهوبات من بناية الوزارة الى الشارع، ثم استعملت بعد ذلك كعربات للعب الاطفال في بيوت الناهبين الفقيرة، وايضاً كمسند لأكياس الطحين والرز والسكر لحمايتها من رطوبة الارض والمياه الآسنة، ثم.. من يفكر بالجلوس على هذه الكراسي (في بيوت الناهبين الفقيرة) لأكل طعام الغداء أو العشاء إذا لم تكن هناك طاولات اصلاً !؟

إجازة

الكراسي كانت اولى قطع الاثاث في مكاتب الدولة الجديدة، وفي مكاتب الاحزاب التي افتتحت مقراتها في بغداد، ومكاتب الجمعيات الانسانية والخيرية عقب سقوط النظام، ويمكن الاكتفاء في البدء بكرسي وطاولة للأشارة الى ان المكان مشغول ويجري العمل فيه، ولم يعد مجرد غرفة فارغة نهبت (الدولة) منها.
هذا ما كنا نراه في الاشهر الاولى لعودة الدوائر الحكومية للعمل. كان الكرسي لوحده مجرداً من هيبة قطع الاثاث الاخرى، ومجرداً من هيبته السابقة ورعبه السابق وظلمه وجموده اللا إنسانيين، مستوحداً ومعزولاً داخل مهمة ثقيلة، هي انه يمثل الدولة الجديدة، وعليه وحده (بدءاً) ان يملأ برمزيته الغرف المدخنة ذات الكهربائيات المنزوعة والشبابيك والابواب المسروقة.
لكن هذه الميلودراما لم تستمر طويلاً مع الكرسي، ولربما لطفت بمنعطف فكاهي، فهناك من باع الكراسي . في الاسواق الارتجالية الكثيرة التي اعقبت سقوط النظام. الى أصحاب الدوائر الحكومية نفسها، ليعود الكرسي من جديد الى مكانه السابق، وكأنه عائد من اجازة استجمام قضاها في الهواء الطلق وعلى الارصفة.. ليس أكثر.

الوقوف.. والجلوس

الكراسي حين تتعدد تفقد صنميتها، تخرج من إشارتها الحادة الى السلطة والتحكم، وتغدو مجرد كراس لا اكثر، والعراق الان يمر بمرحلة استهلاك إستثنائية للكراسي، ولو رصدنا مثلاً عدد الشاحنات التي تدخل الى العراق محملة بانواع الكراسي، للمسنا، بوضوح اكبر، حقيقة ان اعداد من يرفضون الوقوف طويلاً هم في ازدياد، ورغم ان الجلوس على الارض قد يوفر راحة اكبر، لكنها راحة مغموسة بدلالة الاستكانة والعجز، وهذه اشياء يرفض الرضوخ لها مواطننا في هذه الايام.
المسؤولون في الدولة الجديدة يرفضون الادلاء بتصريحاتهم الصحفية وهم جلوس على الكراسي ويفضلون القيام بذلك وهم وقوف امام منصات تشبه منصات الشعراء والخطباء، وكأنهم يقولون بذلك اننا لا نملك كراسي حتى، انها ملك الجميع الان.
الكراسي الرئاسية و(العروش)اختفت من شاشات التلفاز، او ان الاميركان يستعملونها الان في القصور الرئاسية العديدة المتناثرة على خارطة العراق، او انها غدت حطباً في تنانير الناهبين الفقراء.

ملك الجميع

الكراسي الحيادية والصامتة كانت مثلاً اولى ضحايا الثورة الايرانية عام ١٩٧٩، حيث اخرجت الجموع الثائرة كل كراسي ومناضد الوزارات والدوائر الحكومية واحرقت او تم التخلص منها جميعاً بطريقة او بأخرى، لأنها كانت تمثل . حسب رؤية الثائرين . التجسيد الرمزي لسلطة الدولة الشاهنشاهية. حتى ان كاتباً مثل فهمي هويدي يروي في كتابه (إيران من الداخل) كيف انه مر بحرج كبير حين اراد اللقاء ببعض المسؤولين في الدولة الجديدة، ففوجئ بأن مكاتب وغرف الدوائر الحكومية ومكاتب المسؤولين فيها قد فرشت بالسجاد وتحولت الى ما يشبه الجامع او غرف الضيافة العربية.
ولكن لحسن حظ الكراسي سرعان ما انتهت الفورة الانفعالية ، واستيقظ الثائرون من نشوة ازاحة الدولة السابقة ليروا سذاجة التفكير بالتخلي عن الكراسي (وملحقاتها) من الناحية العملية، رغم كل ما تشير اليه، في اعين الفقراء الجالسين على الارض من دلالات تسلطية واستكبارية.

في النهاية استقرت دلالة الكرسي في الدولة الايرانية الجديدة، ليغدو مجرد تابع للسجادة، ولا يمكن له أن يعلو عليها (اعتبارياً) رغم علوه مادياً.
الكرسي لدينا لم يمر بهذه الدراما العنيفة، لم يتحطم في الحقيقة أي كرسي، رغم الرجة الهائلة التي خلفها غياب الثقل الاستبدادي من عليه، لقد مر كرسينا بطور من الكوميديا السوداء، غير وظائفه ، ثم امم من قبل الفوضى، ليغدو ملكاً للجميع، وامم من قبل (النظام) الجديد، ليرجى له ان يكون ملكاً للجميع ايضاً.

تحريم

أما اطرف ما يمكن ان يصادفه المرء على الانترنت هذه الايام، وما يجعله (يجلس) ذاهلاً من المصائب التي تبكي وتضحك في الان نفسه، فهو فتاوى التحريم (المجاني) التي طالت كل شيء.. حتى وصلت الى الكراسي، ولا نقصد الكراسي المجازية، وانما هذه التي نجلس عليها التي هي مجرد كراس، وكمثال على هذه الفتاوى إليكم ما يقوله احد شيوخ التحريم:
(.. إن من اخطر المفاسد التي بليت بها امتنا العظيمة ما يسمى بالكرسي وما يشبهه من الكنبات وخلافها، مما هو شر عظيم يخرج من الملة كما يخرج السهم من الرمية، نسأل الله العافية) !!
ويعدد صاحب الفتوى امام (شباب الامة) مفاسد الكراسي، ويستفيض فيها بما لا مجال لذكره في هذا المقام، ويطالب بتركها لأنها شر مستطير، فهي (مصنوع غربي) واقتناؤه تشبه بالغرب والاعجاب به اعجاب بهم، والغرب (كما يقول) شر كله، ثم أنها . أي الكراسي . ترفع الانسان من الارض، وهو خلاف التواضع . كما يرى . والجلوس على الكرسي هيئة المتكبرين، وغيرها من السفسطات التي لا اعتقد انها تخامر عقل رجل دين حقيقي في مطلع الالفية الثالثة، بل اكاد اجزم انها لم ترد اصلاً في ذهن رجل دين من القرن الثامن عشر، حين واجه رفاعة الطهطاوي الحضارة الغربية، فرأى في الغرب الاسلام كله، ولكن دون مسلمين!
وهنا يودي ان اتساءل هل انتهت المشاكل جميعاً لنتفرغ للآثاث فنصنف قطعه الى محرمات ومحللات، ثم كيف طبع هذا (المفتي) رسالته التحريمية، وعلى أي كرسي جلس؟ وأولئك الذي يقرأون فتواه الانترنيتية هل قرأوها من وضع الانبطاح ام من وضع الاستلقاء؟ ولربما كانوا يتصفحون الانترنت وهم نيام، من يدري؟!
وكنموذج لهذه الفتاوى الفنطازية يمكن المطالعة في الموقع التالي:
http://ummanas.netfirms.com/chair.htm

نكتة رئاسية

حول كرسي الرئاسة شاعت نكتة في منتصف التسعينيات تقول ان صدام اراد الاختلاء والاعتكاف في العشر الاواخر من شهر رمضان للتعبد والتهجد، فلربما حدثت معجزة ونزل عليه (وحي) ما، وهنا استدعى نائبه عزت وقال له: انظر.. هذا هو كرسي الرئاسة، وانا اعرف انك تحلم به ليل نهار، وسأحقق رغبتك الدفينة بالجلوس عليه، ولكن انتبه، الجلوس عليه فقط، وليس شيئاً اكثر، لأنني سأتغيب لعشرة أيام للتعبد.
ولم يتمالك عزت نفسه وهو يعلن عن سعادته بتأدية هذه المهمة، وهي الجلوس (لااكثر) على كرسي الرئاسة قائلا: الله يكون في عوني على هذه المهمة الصعبة، والله يساعدك سيدي على حملك الثقيل كل هذه المدة.
وهنا يغادر صدام كرسي الرئاسة ليجلس عليه عزت مع تحذير شديد بأن لا يتخذ أي قرار مهما كان صغيراً ويؤجل كل مهمات الرئاسة لحين عودة (الرئيس الشرعي!) الى كرسيه الحبيب.
وبعد انقضاء العشرة ايام، يخرج صدام من اعتكافه مخذولاً، فلم يأته الوحي ولا خلافه، ويطلب من عزت الخروج معه في جولة رئاسية في شوارع بغداد للترويح عن النفس، وبعد ان تجوب السيارة بصدام وعزت في اغلب شوارع بغداد يلتفت الاول الى الثاني قائلاً: عزت.. أين المواطنون؟
فيجيب عزت بأنه شاهد قبل ساعة احد المواطنين وهو يعبر الشارع. فيجيبه صدام منفعلاً: ولك هذا مواطن واحد.. ولكن اين البقية؟
فيما بعد يكتشف صدام ان عزت لم يتحمل اغراء كرسي الرئاسة واضطر لأتخاذ قرار واحد للاحساس بأنه ملائم لهذا الكرسي، وهذا القرار اليتيم لم يكن سوى إلغاء ضريبة الـ (٤٠٠) ألف دينار الشهيرة على طالبي صرف جواز سفر!

الاغلى ثمناً

ليس كرسي الرئاسة هو الثمين فقط، وانما هناك كراس قد تكون في نظر البعض اغلى ثمناً، كرسي الفلسفة في جامعة بون، كان ثميناً جداً للفيلسوف الالماني هوسريل، لكنه لم يكن كذلك بالنسبة لتلميذه الفيلسوف الشهير مارتن هيدجر، وفضل الجلوس . في اواخر ايامه . على كرسي مصنوع من اخشاب لم تشذب جيداً في مقاطعة (الغابة السوداء) يجالس الفلاحين، ويستغرق في تأملاته حول الوجود.. موضوعته الاثيرة.
كرسي في جامعة محترمة هو حلم لا يغادر ذهن أي طالب مجتهد.
(كرسي) هو اول شيء تبحث عنه اعين المدعوين لحفلة او أمسية أمتلأت كراسيها بمدعوين اكثر حظاً.
(كرسي) ومشتقاته .. مقعد.. رحلة.. دكة.. صفيحة.. هو ما يطالب به الآن وبوسائل مختلفة تلاميذ الكثير من مدارس العراق، وهو نفسه ما يسعى اليه المستعدون للانتخابات البرلمانية القادمة في العراق من الاحزاب والتنظيمات والشخصيات، وهو ايضاً ما يطلبه المراجعون للعديد من الوزارات والدوائر الحكومية، ممن يحلو لاستعلاماتها . هذه الدوائر . رؤية المراجعين يصلبون وقوفاً تحت وطأة انتظار مزدحم.

حكمة الحلاقين

من يتمنى حقاً في هذه الايام الجلوس على كرسي الرئاستين (الدولة والحكومة) فهذا ليس كرسياً بعجلات، وانما باقدام حية كحصان نافر، كرسي صعب التدجين، ولا يمكن ان تنشئ معه علاقة طويلة الامد. كان كرسي اصطفاء وتشريف مزعومين، وهو الان كرسي ازمات تتجه نحوه المطاليب دائماً، والاقاويل والشائعات والانتقادات والتكهنات، والرغائب والضغائن. كرسي يكشف صاحبه ولا يستره، والبقاء عليه لفترة محدودة وقصيرة حكمة لا يثمنها دائماً إلا الحلاقون!
خارج المتن "تعريفات"
❖ كرسي المقهى: هو تخت عريض ما زالت اغلب المقاهي في بغداد تتمسك به ، على العكس من المقاهي العربية الان، لأسباب منها ربما، سبب اقتصادي بحت، ف